فضاءات الأدب

منال محمد يوسف

إن الأدب وفضاءات معرفته المثلى وفنونه الجميلة ودانيات قطوفه، دانيات المعرفة الساكنة على شطّه، في فضاء أفقه الواسع، تلك المعرفة التي تُضيء مداراته وتستوطن بالأصل فوق جماليّات الثقافة الحقة.

تستوطن في جماليات سطوره وفي كلّ حرف نكتب أو نقرأ، وفي أفق كل جملة تُكتب وفق عجائبيّة الجمال الأدبي.

تُكتب وفق تجلّيات اسمه التوصيفيّ وأفعاله الموصوفة بشكل أو بآخر..

هذه الأفعال التي تأتي على قدر مهم من التماثل الأدبيّ الذي لا يمكن الحياد عنه في حال من الأحوال.. فهو يمثّل فضاء المعرفة وأفقية الزمانيّة والمكانيّة في الأدب..

ويرى الأدب ويجعله يختصر كلّ لغات الجمال الحقيقي، وهنا يقصد الجمال المأمول وجوده أينما وُجد الأدب وأينما وجد محاره الأجمل.. وأينما كُتب الأدب وبقي فنّه الأدبي البقاء..

بقي وحال التميّز الحالم يرتقي به ويحاول أن يشمل كلّ أطيافه ويعمل على جدولة ما نبتغي جدولته فنياً وأدبياً..

وبهذا المعنى نرى الأدب بكل محاره، ومجالاته الواعية الارتجاء، وبكل تفصيلاته الوجوديّة، ومفصلات النهج الأدبي الذي يساق له هذا المدار أو يتسع له هذا الفضاء أو غيره..

هذا الفضاء الأدبي الذي تتعدّد عناوينه وتتعدّد مسوّغاته ودلائل معرفته قد تساعد في تشكيل فعل أدبي مستقل ومستقبل بجميع أطياف الأدب.. وبما يشكّل جمالية الأدب وفحواه ومحتواه المهم.. وبالتالي يصوغ صوت المرتجى الأدبي، يصوغ جوهره الخاص والعام على حد سواء..

وبما يجعل فضاءات الأدب تسترجب بكل ما يُضاف عليه، وبما يجعل عنوانه مُصاغاً بتشكيلة الواقع، تشكيلة جوهر الشيء الواقعي المكتوب بلغة الأدب، بلغة الاستعطاف على ما نكتبه، وما يتجسد في أدبنا.

هذا الأدب الذي يتسع بما يمتلك من لغات الصيرورة الدائمة، ما يجعله حاضراً في أبهى الحضور، ويجعل أفقه واسعاً جميلاً..

يتميز بذاك الجمال الفكريّ واللّغويّ...

ويكون بذلك كمن ألقيت على شطّ بحره شعلة الإبداع وأقسم أن يسأل كلّ ذات إنسانية قائلاً لها: هل من مزيد؟ هل من عظمة تُضاف إلى ماضي الأدب التليد، تُضاف إليه بفعل الاجتهاد الفكري الأدبيّ؟

وبفعل انبعاث جمرات الإبداع المتجددة حقّاً.. وبفضل تنشيط روح الإبداع والعمل المستديم، حيث يجعلها متقدة بشكل دائم.. ضوضاء.. ويجعلها تموج في أديم الوقت الإبداعي وأديم الذوات المبدعة حقاً، في أديم الأدب وما تعنيه هذه الكلمة من معنى، وما تختص به من قيمة جيدة الاحتواء الأدبي، جيدة السفر التاريخي الأدبي لهذا المجال الأدبي أو ذاك.

كل هذا وذاك يجعلنا نقرأ عناوين خاصة بتلك المدارات، تلك العناوين تحض اتساع الرؤى الثقافية وبالتالي تعمل على تشكيل بعض من متممات فرص نجاحها أو اتساعها بالمعنى الدقيق للكلمة... هذا المعنى الذي يجب أن يشكل المعنى الدائري أو المداري لكل ما نستطيع الوجود في أفلاكه أو مداراته، وما تشكّله وما تنزع إليه في مجالات عديدة ومتعددة الأوجه، وفي تشكيلته الجادة كالرؤية الثقافية المنبثقة من عين صائبة اليقين الأدبي..

ونرى هذا يسترجب بكل أفقية المدارات الأدبية ويجعلها تجدد شيئاً من فنونها ومن بنيانها الفكري والثقافي، هذا البنيان المعرفي الذي يجدد توكيد خبرها المعرفي واتجاهاته الثقافية الجادة فعلياً والتي تستلزم الإشارة إلى حروف توكيدها ثقافياً ومعرفياً..

وبالتالي بما يبرز تلك المسوغات والتمدد ضمن انحناءات تابعة له، من حيث الشكل والمضمون ودائرية وأفقية المدار أو الفضاء الثقافي الذي يتبع التابع والمتبوع المعرفي والجمالي في آن معاً، ما يرأب الصدع الحاصل هنا وهناك، بين كل مطب ثقافي تجب الإشارة إلى بعض حروفه وحركاته وتحركاته التي تعيق تمدد تلك الأفق والمدارات وهذا ما لا نحبذه ولا نحبذ وجوده، وإن ما نفضله بالفعل هو اتساع شمولية الثقافة ليشمل ذلك الاتساع فضاءات الأدب كافة والأفق المعرفي.

سمات شعر الوحدة بعد عهدها

عبد الوهاب الشيخ خليل سار في منعطفات الوحدة وبقي مخلصاً لها

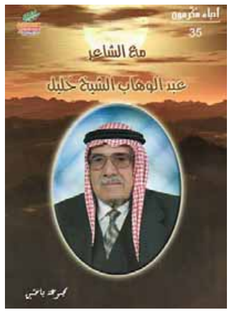

د. راتب سكر

أثّرتْ مجريات سنوات الوحدة السورية – المصرية منذ قيامها التاريخي عاصفة بالهتافات في ٢٢- شباط من عام ١٩٥٨، في مواقف كثيرين من الأدباء والمثقفين من قضايا الأدب والحياة وتوجهاتهم اللاحقة في رؤية الوجود و العالم.

كان الشاعر عبد الوهاب الشيخ خليل (١٩٢٦-٢٠١٨)، قد عرف في مرحلة النشأة والشباب، بحماسته في عقد الخمسينيات للناب والوزير والسياسي المعروف رئيف الملقي (١٩٠٠-١٩٨٨)، فكان شاباً مشاركاً نشطاً ذا توجهات فردية في حملات المرشح المستقل الانتخابية ونشاطاته الاجتماعية، وسرعان ما حمل عهد الوحدة الجديد تغيرات واسعة في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فسارت في منعطفاتها الكبرى، مؤثرة في مواقف كثيرين من الأدباء والمثقفين والمشتغلين في الشأن العام، فبدا أن رئيف الملقي الشخصية المستقلة خارج الحياة الحزبية، الذي غدا عضواً في مجلس الأمة في الجمهورية العربية المتحدة، قد اختار مع بلوغه الستين وضع حد لنشاطه البرلماني والسياسي المتنامي منذ الثلاثينيات مانحاً اسمه بريقاً خاصاً منبثقاً من علاقاته التاريخية المتميزة بالتيارات الوطنية والشعبية في حماة، متوجة بمكانته التي تبوأها في دولة الوحدة، واستمرت دلالاتها مؤثرة في علاقته المميزة بالرئيس جمال عبد الناصر، على حين ربط مريده الشاعر الشاب عبد الوهاب الشيخ خليل (وهو أصغر من رئيف الملقي بنحو خمسة وعشرين عاماً) مصيره نهائياً، بالتيارات الوحدوية الوليدة من رحمي زمني الوحدة والانفصال، مكتفياً من صديقه الناب والوزير القديم، الذي رافقه مريداً متحمساً لسنوات، بالسكن العابر إلى موّدانه، من حين إلى حين، في مقاهي حماة، بعد أن غدت أحاديث الذكريات ملاذاً وديعاً لكليهما، يحلها رئيف الملقي محل انغماسه الناري القديم في الصراعات الاجتماعية والسياسية، ويراها مريده الشاب محطة صداقة حميمة على دربه الجديد الذي فتح آفاق وعيه الاجتماعي خارج بيئته في حماة ورموزها السياسية والاجتماعية، على جلالة تأثيرها في وجدانه.

كتب عبد الوهاب الشيخ خليل في أوراق مذكراته، متحدثاً عن هذه المرحلة من علاقته به، قائلاً: ممن كان يرتاد هذا المقهى (مقهى عبود، كان يقع مقابل بناء «الموقع» الحالي) الأستاذ رئيف الملقي رحمه الله، وهو من أوائل زعماء الكتلة الوطنية في حماة الذين قاوموا الفرنسيين، ومثل حماة في المجلس النيابي دورات عدة، وتقلد وزارتين خلال حياته، وكنا نتحلق حول طاولته في هذا المقهى كل يوم، ولمدة زمنية طويلة، أنا والشاعر سعيد قندقجي رحمه الله، وأحياناً يكون الشاعر عدنان قبطاز مدّ الله في عمره والشاعر محمد حيدر وهو من جبلة.

تنوعت مواقف الأدباء والمثقفين من حادثة الانفصال في ٢٨ أيلول من سنة ١٩٦١، وانفصام عرى دولة الوحدة «الجمهورية العربية المتحدة»، بعد مرور ثلاثة أعوام وسبعة أشهر على قيامها، كما تنوعت مواقفهم على دروب قيامها ومساراتها، ومن الراجح أن الوقوف على نماذج من قصائد عبد الوهاب الشيخ خليل في هذا المضمار، مفيد لتلمس اتجاهات تلك المواقف.

لقد غدا الانفصال جرحاً نازفاً في صدره الطري، وغدا الحلم بانبعاث الوحدة العربية هاجسه المؤرق الأساس، حتى إذا لاح مشروع دولة الاتحاد بين سورية ومصر وليبيا في عام ١٩٧١، وأقام المركز الثقافي العربي في حماة مهرجاناً شعرياً بالمناسبة، شارك عبد الوهاب الشيخ خليل فيه بقصيدة عنوانها: «مع الحدث الكبير» مطهراً بأبياتها ما علق بروحه الوثابة إلى الخير والجمال والحق، ما علق بيقين بياضها من تداعيات مآل الوحدة وأسى انفصالها، قائلاً (وقد مضى على الانفصال نحو عشر سنوات):

«بعد الجراح التي أدمت حشاشتنا
يحقق الشعبُ أمرًا رائدًا جللا
حتى أطل هلال الاتحاد على
أرض الإباء فقلنا: مرحبًا وهلا
يقول: ويحك أين الشعر تبدعه
أما سمعت؟! فليل الانفصال جلا»

ترسّخ موضوع الوحدة متنامي المؤثرات في وجدانه وشعره مع تتالي السنين، وتعمّقت دلالاته موضوعاً مركزياً هاجساً في شعره بإشعاعات أسيانة وخاصة منذ انفصال إقليمي الجمهورية العربية المتحدة الشمالي (سورية) والجنوبي (مصر)، فلا يخفف من أساه، ويستبد به «رفيق جناح يختار النجوم ويقطف»، إلا سماعه خبر مشروع وحدوي جديد، أو ذكره اسم مصر أو رموزها، فتنبعث في شعره إشعاعات فرح جميل بلون قصائده بالصور الأدبية المعبرة، بمثل قوله في قصيدة كتبها عام ٢٠٠١ بعنوان «طائر النيل»:

> بقيت الوحدة العربية هاجسه المؤرق له حتى وفاته

«أتاني على جنح الأثير يرفرف
رسول من النعمى، أرقُّ وألطفُ
وهاج شعوري بالرفيف جناحه
فأمسيت أختار النجوم وأقطفُ
تضمخ من عطر الكنانة ثوبهُ
ومن عطرها تزكو النفوس وتشرُفُ
ومن عطرها أحلام قلب مولّه
يذوب لدى الغيطان عشقاً ويزلفُ»

عبد الوهاب الشيخ خليل الذي لم يزر مصر في حياته، عاش مترنما بنجومها ونيلها وغيطانها، رمزاً لحنينه إلى قيم الوحدة الضائعة، أو المضيعة، فيكتب قصائد تفيض لوعة وحنينا، حتى إذا ألقى مثل قصيدته «طائر النيل» من منبر ثقافي، وجدته عندما يصل إلى قوله: «أحلام قلب مولّه يذوب»، يهل في عينيه الحادبتين برق خاطف، ويرده صوت ذو وداد مبين من القاعة الواسعة: «سلامة قلبك يا أبا الخير».

يعدل جلسته باعتداد عندما يتحدث عن قصيدته في استشهاد البطل عبد المنعم رياض (أحد أبرز رموز الكفاح العربي سياسياً وعسكرياً في الستينيات)، مستدعياً إلى مساحات الكلام بث إذاعة صوت العرب من القاهرة لهذه القصيدة وما كتبته عنها الدكتورة زاكية رياض – أخت الشهيد – الأستاذة في جامعة عين شمس. كانت هذه الصورة تفيض في صدري الصغير بالعبر، كما عبرت ساحة «عبد المنعم رياض» الشهيرة في وسط القاهرة، طوال أشهر إقامتي فيها عام ٢٠٠٦، أستاذاً زائراً في جامعتها، وعندما أتيت على ذكر تلك القصيدة في محاضراتي المتواضعة عن الأدب المعاصر، في كليات الآداب من جامعات القاهرة بشتى سويف، وطنطا، وغيرها.. علق عليها عدد من أساتذتي وإخواني الكتاب هناك (مثل د. عبد المنعم تليمة، ود. مي يوسف خليف، ود. صلاح الدين حسنين وغيرهم) تعليقات جديرة بوقفات خاصة.

القصيدة من بحر الكامل مؤرخة بتاريخ ١٢-٣-١٩٦٩، تحمل إشارات متنوعة إلى عمق ارتباط الشاعر – في مرحلة أواخر الستينيات من القرن العشرين- بالتيارات الوحدوية والقومية النهضوية التي كان الشهيد عبد المنعم رياض يمثّل رمزاً نقياً من رموزها القابضة على الجمر في غمرة الهزائم والانكسارات، متوجاً باستشهاده الشجاع قيمها النبيلة. ومن تلك الإشارات ما تضمّنه عنوان القصيدة في عتبته النصية من حماسة الشاعر لاسم الشهيد الذي يرثيه وشخصيته، بقوله: «مرثية القائد عبد المنعم رياض طيب الله ثراه»، هذه الحماسة التي تؤكد موقع رياض من وجدانه وقلبه، في قوله:

«أنا ما رثيتك بالفريض وإنما
بنجيع خافقيَ الجريح رثائي»

شعره سجل حافل يعكس ما في مرايا وجدانه، ومواقفه من أحداث عصره، ومن الراجح أن قضية الوحدة العربية قد ظلت من أهم ينابيع المؤثرات الفاعلة في شعره ووجدانه.

الشاعر عبد الوهاب الشيخ خليل رحل عن دنيانا الفانية سنة ٢٠١٨، وترك قصائده شهادة على زمنها وجدانياً واجتماعياً وفكرياً وفنياً، جديرة بدراسات جادة متنوعة وافية.

نجمات الفن يحتفلن بعيد العشاق

سلاف فواخرجي

ميسون أبو أسعد

جيني إسبر

رنا الأبيض

ميرنا شلفون

مديحة كنيفاتي

نسرين طافش

ليا مباردي

احتفلت نجمات الفن بعيد الحب والعشاق الذي صادف يوم أمس، واخترن إطلالات متميزة من وحي المناسبة، فنشرن عبر مواقع التواصل الاجتماعي جلسات تصوير لافتة ارتدى بعضهن فيها الزي الأحمر بينما اختار خريات إطلالة غير تقليدية بالزي الأسود.

برجك اليوم 2/15

نجلاء قباني

الحمل

اليوم يدعمك بخيارات أو يفتح أمامك أبواب حظ لم تكن تتوقعها لأنك تعبر عن نفسك فأنت مستعجل وتريد تحقيق مشاريعك كلها دفعة واحدة فتكلم وتواصل مع من يهمك.

عاطفياً: اليوم جيد جداً لتمتين كل ما هو حقيقي أو لتضع النقاط على الحروف في حياتك العاطفية.

الثور

اليوم تعاني صعوبة في التفاهم مع العائلة أو إزعاجات وقلقاً في العمل وقد يثار خلاف مادي أو شخصي مع العائلة أو في شراكة وقد تفكر بكشف جميع الأوراق.

عاطفياً: أنا أفضل أنك ستسأل نفسك مراراً أين وصلت؟ وأين تريد الوصول في المستقبل.

الجوزاء

الوردة تتفتح بعد قلق وتزدهر الآمال ولينتشر عطر الأخبار الجيدة في حياتك فأنت تنجز أعمالك وتطور حياتك وتحسن أداءك وتكون الإنجازات والأخبار مصدراً للفرح.

عاطفياً: لقاءات، اتصالات، سفر، وأنت في الفترة الأفضل للحديث والنقاش.

السرطان

تحاول اليوم حماية مكتسباتك وممتلكاتك على الصعد كافة فأنت مرح وحيوي وربما تفكر اليوم بشؤون عائلية داخلية وتتابع عملية مالية مكاسب تقبضها.

عاطفياً: الحفوظ مساعدة فساعد نفسك بالهدوء والقرار السليم الذي يفرحك ويسعد من حولك.

الأسد

مثابرتك على ما تريده تجعلك تحقق أهدافك بنجاح وتعطيك شعوراً بالسعادة فأنت تريد أن تحافظ على إنجازاتك وتدافع عنها بشراسة واليوم للازدهار المعنوي.

عاطفياً: أنت تلمع كشعلة نار وسط الظلام محبوب ومرغوب وحولك الكثير من الدعم ومن المحبة.

العذراء

انتبه من البرودة أو الإهمال أو البعد بسبب أمور صغيرة كالشك أو الغيرة أو أوامر تفرضها وتشعر أن الشريك غير مهتم بأوامرك فالبوم للعتب أو للشك فيما يقال.

عاطفياً: أنت هادئ وصوتك منخفض وليس لك مزاج على أي شجار ومهما جرى فقد تفضل العزلة أكثر من التعليق.

الميزان

هذا اليوم يضفي عليك سحراً خاصاً وتعقد صداقات جديدة أو تركز على علاقة لك ناشئة أو قديمة قد تشرعها وتعلنها ولكن عليك أن تنتبه أكثر إلى طريقة تعاملك مع من تحب.

عاطفياً: اليوم تقف إلى جانب الضعفاء وتسعد للمساعدات التي تتلقاها ممن حولك.

العقرب

قد تتعرض لمواقف فيها استفزازات أو نقد أو لوم نتيجة أخطاء غير مقصودة فاعتذر واعترف بأخطائك وابذل جهوداً مضاعفة ولا تجعل النقد يهز ثقتك بنفسك بل ضاعف جهودك.

عاطفياً: لا تجعل حماسك يأخذك بعيداً واحرص على أن تكون قدماك دائماً على الأرض وحاول أن تزيل خلافاتك.

القوس

قد تفكر بزيادة تعليمك لزيادة خبراتك فاليوم يجعلك أكثر قرباً من فرص جديدة موجودة حولك وأشجع في الوصول إلى هذه الفرص وأكثر صبراً لمتابعتها واليوم للأمور الثقافية.

عاطفياً: هو يوم التغيرات بامتياز وربما للبدايات الجديدة والتعارف المجدي المتصل بالمستقبل.

الجدي

تمضي بالمحبة من محيطك قدماً بعيداً عن جو المنافسة والتحدي الذي قد تجد فيه نفسك أحياناً فأنت قائد محبوب ومقنع تفرح لمن تحب ويمتحون الدعم، وتتصاعد شعبيتك.

عاطفياً: أمورك جيدة وخاصة على الصعيد الشخصي والعائلي وأنا أظن أنني سأبارك لك بأمر قد يغير حياتك.

الدلو

قد تصطدم أيضاً مع زملائك بسبب إحساسك أنهم يعرقلون أمورك أو يتدخلون بطريقة سلبية وقد تتأجل بعض المشاريع أو تدخل في صراعات أو منافسة تحتاج إلى جهد ووقت.

عاطفياً: الحكمة والهدوء تلزمك اليوم للابتعاد عن كل ما يعقّد حياتك والأنصحك بالاقتراب ممن تحب.

الحوت

أنت تقوم بواجباتك على الرغم من ضيقك النفسي أحياناً فاليوم للعمل المطلوب والمفروض فنظم وقتك وانتبه على أمورك الصحية وحاول أن ترتاح قليلاً.

عاطفياً: لا أظن أن مشاكلك عاطفية بل أنا أظن أن أغلب مشاكلك عائلية ومع أني أعدك بأن تتحسن أمورك.